

أيتُّ لتكون لهم الحياة

هذه

هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويعرفوا يسوع المسيح، رسولك."

بهذه الكلمات القليلة البسيطة يكشف لنا الإنجيل المقدس عن هدف حياتنا. فالحياة الأبدية تعني أن نعرف الله ونعرف ابنه يسوع المسيح. معظمنا يشعر أننا نعرف الله ويسوع لأننا نعلم الوقائع التي تعلمنا إياها الكنيسة عن الله. لكن معرفة الله تختلف كثيرًا عن علم أشياء عنه. فالشخص الذي يعلم فحوى "الملف" الخاص بالله (الكتاب المقدس وقانون الإيمان) لا يعرف بالضرورة الله شخصيًا. يمكننا مثلاً أن نعلم حقائق كثيرة عن الله وننقل للآخرين ما نعلم عنه، دون أن نكون قد التقيناه ولو مرّة واحدة لقاءً يُعطي الحياة. فمما جاء في رسالة القديس يعقوب (2: 19): "أنت تؤمن أن الله واحد؟ فنعماً تفعل! والشياطين أيضاً تؤمن... وترتعد!"

فعلّم حقائق عن الله لا تحوّل المرء آلياً إلى شخص إيمانه حي. وما أكثر الذين يمضون عمرهم كاملاً بإيمان بدائي! قد يعتنقون الإنجيل والتقليد الرسولي ويحيون بالتقوى، ومع ذلك يبقى إيمانهم إيمان الأطفال الذين يتعلمون ما يقال لهم دون أن يكون لهم أي خبرة شخصية لتربيته. فإيمانهم مقصور على أشياء غيبية، بعيدة، لا على اختبار شخصي. فتكون النتيجة أن إيمانهم يتزعزع لأول شدة أو تجربة تعترض سبيلهم.

ومن البديهي أننا لا نقدر أن نجابه أي تحدٍّ لإيماننا إن لم يكن لدينا سوى نظريات عن الله. أمّا الذي يقوم إيمانه على وعي لحضور الله الحيّ في حياته، فهو يعلم عن خبرة شخصية أنّ الله هو طاقة وحياة. وهو على يقين أنّ قول السيد المسيح

"أنا الطريق و الحقّ والحياة. أنا القيامة. أنا الكرامة. أنا الراعي الصالح" ليس تجريدًا نظريًا. بل ينطوي على صور مجازية تصف عمل الله كما يجتبره المؤمن في حياته الشخصية. والمؤمن يوقن أنّ ما يؤكده القديس بولس صحيح: "إننا نعلم أن جميع الأشياء تعمل لخير الذين يحبون الله، أولئك الذين دُعوا بسابق تدبيره." (رومة 8: 28)

كثير من الناس وجدوا أن التمرين التالي يساعدنا على أن نرى يد الله تعمل في حياتنا: لنتمهّل قليلاً ونأمل في الأحداث التي نعتبرها منعطفًا حاسمًا في حياتنا. لنتخيّل الوضع الذي نكون فيه لولا تلك الأحداث و ما نجم عنها. هل تعتقد أنّ تلك الأحداث الحاسمة في حياتنا كانت مجرد صُدْف حصلت اعتباطاً؟ أم أنّها بالحريّ مرتبطة على نحو عجيب لم يخطر في بالنا حتّى الآن؟ المؤمن يعلم أنّ هذا الكون لم يحدث صدفةً، بل إنّه حتمًا من تصميم الله.

كما أنّ المؤمنين الموقنين أنّ لحياتهم هدفًا وأجهاً معيّنًا، لا بدّ أن يروا يد الله في تلك الأحداث. والمؤمنون الناضجون هم على يقين بأنّ الله حاضر، ليس فقط في تلك الأحداث، بل أيضًا في كلّ لحظة من لحظات حياتهم. فهم لا يكتفون بقراءة "ملف الله"، بل يثقون بأنه يعمل ليعطيهم دورًا في التدبير الخلاصي الذي صمّمه للعالم. لذا نراهم ناشطين في خدمته.

إنّ اختبارنا الشخصي لعمل الله في حياتنا، لا يناقض معرفتنا له عن طريق الوحي الذي به كشف لنا عن ذاته. وإذا تبين أنّ خبرتنا الشخصية تناقض الكتاب المقدس أو تعليم الآباء القديسين أو شهادة الكنائس التاريخية، فذلك دليل أنّنا قلة

نكون ضحيةً للوهم. فإذا بدا لنا أنّ الله يأمرنا بمخالف وصاياه فذلك دليل قاطع على أنّ مثل تلك الأوامر لا يمكن أن تصدر عنه، وإنّما هي من نسج مخيلتنا أو من عمل القوى الشيطانية.

التقليد الرسوليّ

إنّ

مصدر الكتاب المقدس والليبريا وكثير من الصلوات والأصوام التي نمارسها، يعود إلى التقليد الرسولي، أي إلى اختبار الرسل الشخصي للسيد المسيح أثناء حياته على الأرض، وللروح القدس إذ حلّ عليهم في اليوم الخمسين بعد القيامة. وقد تمّ تنظيم العقائد الجوهرية وإدراجها في قوانين الإيمان، لا سيّما القانون النيقوي - القسطنطيني الذي تمّ وضعه في المجمعين المسكوتيين الأولين، ولانزال نتلوه في الليبريا الإلهية.

خالق السماوات والأرض

كما

نجد تعبيرًا للتقليد الرسولي في مؤلفات الآباء القديسين، ونصوص الليبريات التي وضعتها الكنيسة، وشهادة القديسين. وهذا التقليد يعلمنا أنّ الله خالق السماوات والأرض ومصدر كلّ ما في الوجود. ونحن مدينون له وحده بوجودنا وكلّ ما هو لنا.

الثالوث القدوس

إنّه

يتعدّر علينا أن نستوعب أنّ الله هو أبو ابنه الأزليّ وكلمته، وأنّ الروح القدس ينبثق منه.

أتيت لتكون لهم الحياة



لأبرشية نيوتن الملكية

<http://mekite.org/>

حقوق الطبع محفوظة لكتابة الأيقونات

دير القديسة إيليزابات - دوقة روسيا الكبرى

<http://www.conventofsaintelizabeth.org/>

لذا كان لا بد أن يكون حضوره ليقى معنا إلى الأبد على نحو جديد. فقد وعدنا بأن الأب سيرسل إلينا الروح القدس، المعزّي الآخر، ليكون معنا إلى الأبد (يوحنا 14: 16). وقد حلّ الروح القدس على الكنيسة فعلا، كما وعد يسوع:

■ ليعلمنا كلّ شيء، ويدكرنا كلّ شيء (يوحنا 14: 26)

■ لنشهد بأن يسوع هو حقًا المسيح، مخلص العالم (يوحنا 15: 26)

■ ليؤلي الكنيسة سلطاناً لمغفرة الخطايا (يوحنا 20: 22-23)

وبالروح القدس نختبر عمل المسيح في الكنيسة. فالروح القدس ألهم تدوين أسفار الكتاب المقدس وجمعها للتأثير في قلوب الناس حيثما كانوا. والروح القدس هو الذي يحول الأسرار المقدسة القدرة على أن تنقل للمؤمنين محبة المسيح التي تخلصهم وتغذيهم و تغفر خطاياهم. و الروح القدس يوزع وفرة المواهب في الكنيسة لصالح جماعة المؤمنين. و الروح القدس، على مرّ العصور، هو الذي قاد كثيراً من المؤمنين منذ طفولتهم، على دروب الإيمان، إلى أن بلغوا أجماد القداسة.

فإنه ليس فقط مصدر وجودنا على هذه الأرض، بل هو أيضاً مصدر حياتنا الأبدية بيسوع المسيح. مع أننا مغمورين في حضم هذه الحياة، فإننا نستطيع اختبار الاتحاد مع الله حسبما يقدرنا على ذلك. و هذا ما يعنيه السيد المسيح بقوله: "إنما أتيت لتكون لهم الحياة، وتكون لهم وافر." (يوحنا 10: 10)

السيد المسيح، محبّ البشر

هكذا

أحبّ الله العالم حتى إنّه أرسل كلمته الأزليّ، يسوع الناصري، إلى العالم، ليشاطرنا طبيعتنا البشرية في كلّ شيء، ما عدا الخطيئة. فأثبت لنا أننا، مع ضعف أجسادنا، نستطيع أن نكون مرآة يتجلى فيها حضور الله.

وفي الإنجيل أكثر من صورة رمزية تشرح للمؤمنين على مرّ العصور من هو يسوع المسيح:

■ هو خبز الحياة (يوحنا 6: 32-59) الذي يغذينا ويسنّنا مدى الحياة.

■ هو ماء الحياة (يوحنا 8: 37-39) الذي يروي ظمأنا بالروح القدس.

■ هو نور العالم (يوحنا 8: 2) الذي يضيء لنا الطريق في هذه الحياة.

■ هو الباب (يوحنا 10: 7) الذي نعبّر منه إلى المراعي الخصبة.

■ هو الراعي الصالح (يوحنا 10: 14) الذي يبذل حياته في سبيل خرافه.

■ هو الطريق والحق والحياة (يوحنا 14: 6) الذي لا نستطيع الوصول إلى الله إلاّ به وحده.

الروح القدس

يسوع

المسيح، كلمة الله المتأنس، اختبر مواطن الضعف البشريّ كلّها، بما فيها التجربة، ما عدا الخطيئة (الرسالة إلى العبرانيين 4: 15).